تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(إضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

الكتاب : تفسير آية الإنذار

تفسير آية الإنذار

وأحاديث يوم الدار أو بدء الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة

والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين

أبي القاسم محمد وآله

الطاهرين

قال اللّه تعالى (وَأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْرَبينَ)

الشعراء ـ ٢١٤

لايزال يأتينا من الناصبة ، وبقية الفئة الباغية ، والمرتزقة الذين يعيشون في أحضان الاستعمار . وهمّهم الوحيد التفرقة بين المسلمين ، وإشغالهم بخلافات مستحدثة ، كيلا يلبّوا دعوة المصلحين وعباقرة الأمة إلى توحيد الكلمة . ما يجرح العواطف ، ويُثير الفتنة والتباغض والتخالف ، مما لاربح فيه إلا للأعداء ، ولايزيدنا إلا الضعف والفشل .

وهذا إن دلّ على شيء ، فإنَّما يدل على أنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، حتى لايسمعوا صرخات المصلحين ، لانهم لايحبون استيقاظ أُمتنا الكبيرة التي لو استيقظت من نومتها ، وعرفت صلاحياتها وطاقاتها وامكانياتها ، لقامت بوجه كل استكبار واستضعاف ، وقضت عليه ، ورفعت راية التوحيد ، وأسَّست المدنية على النظام الالهيِّ الخالص من الظلم والانظلام ، وسلب الحريات التي منحها اللّه تعالى الانسان في شرايع الانبياء ، سيما الشريعة الاسلامية الخاتمية .

نعم ، لو التفت الجيل الحاضر المسلم إلى مستقبله وإلى حاضره ، وما يجري في العالم ، وما أحاط البشريةَ من المشاكل التي فرضتها عليها الصهاينة وأذناب الاستعمار ، والتبشير والالحاد وعبدة لنين وماركس ، أدرك ما يجب عليه من القيام بابلاغ رسالة الاسلام لإنقاذ البشرية والسعي للقضاء على كل سلطة وسيطرة إلا سلطة أحكام اللّه تعالى ، ويدك بذلك عروش الجبابرة والمستكبرين ويهدّد كيانهم .

ولَعَمْر الحق ، ما على البسيطة شيء أشد خطراً على الاستكبار العالمي من تيقظ المسلمين من رقدتهم ، واعتصامهم بحبل اللّه تعالى .

(١/١)

إذاً فلا عجب من وقوفهم بوجه المصلحين وسعيهم في تفرقة كلمة المسلمين وتجزئة بلادهم ليكون كل اقليم ومنطقة تحت أمر حاكم عميل ونظام في خدمة الشرق أو الغرب.

فانظر إلى بلاد المسلمين بعين البصيرة والعبرة ، لتدرك محنتها من هؤلاء الحكام والمهتمين بتفرقة المسلمين ، ثم انظر هل تجد لهذه الحكومات المتخالفة في السياسة والنظام والادارة ، مفهوماً غير أن الاستعمار لم يقم ولن يدوم في بلادنا إلا بها وأوجه السؤال إلى المسلمين المضطهدين تحت سيطرة هذه الحكومات الجائرة عن الحاكم الاسلامي الذي قرن اللّه طاعته بطاعة رسوله(صلى الله عليه وآله) من بينها ؟

من الذي يحكم من حكام هذه البلاد بحكم الاسلام ؟ وأية هذه الحكومات حكومة شرعية إسلامية تمثل وحدة الامة وحكومتها العالمية التي تسود العالم كلَّه ؟

فهل تعرف منها من لايتحكم في مصيره الشرق الملحد أو الغرب المستعمر ؟ أو شبكات هؤلاء المستعمرين الذي لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمة ، ينفقون الاموال الطائلة التي يحصلون عليها بامتصاص دماء الشعوب ، من أجل اختلاق الخلافات وإنكار الحقائق الاسلامية ، وإيجاد الشك في التاريخ المليء بأمجادنا وبطولات أبطالنا ، كما يحاولون أن تبقى اختلافات الفرق بحالها ، فحينما يرون أن الشعور بالولاء لأهل البيت والتمسك بهم سيشمل جميع الأُمة ويوحدها ، ويذهب بالأحقاد التي أوجدتها السياسة ويقضي على تفرقة الأُمة بالفريقين الشيعة والسنة ، ويلف الجميع حول الكتاب والعترة (الثقلين) ويوحّد المذاهب أجمع ، يتوسلون بأهل التعصب والعناد والنصاب يخيفونهم من ظهور الحق ويقظة الشباب المثقف وفهمهم ما وراء الوقائع الدامية والخلافات الطائفية من مؤامرات المنافقين ومبغضي أهل البيت(عليهم السلام) فيستأجرون لذلك أقلام عبدة الدنيا ، ومحبي الجاه والضعفآء الذين لايفهمون ما وراء هذا الامور ولايفكرون فيما يريده الاستعمار من الاحتفاظ بتفرق المسلمين .

(٢/١)

إي واللّه ، لقد أدرك الاستعمار أن جيلنا المسلم قد استيقظ عن نومته ، وانتبه إلى ما حوله وأدرك أن الخلافات المذهبية والسياسات العاملة لمنع الناس عن التمسك بالثقلين وأخذ العلم عن أهل البيت(عليهم السلام) الذين هم وحدهم حملته وسَدَنته ، تذوب بالامعان الخالص من التعصب في الكتاب والسنَّة والتاريخ ، كما أدرك الكثير من أبناء أهل السنة ، فلبّوا دعوة المصلحين الأفذاذ ،

لترك العصبيات الطائفية ، وفهموا أن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) لاذنب لها إلا ولاء أهل البيت وأخذ العلم عنهم في ظروف لم تكن موافقة لسياسة أرباب السلطة المتغلبين على المسلمين فتحكموا في رقاب محبيهم ورواة فضائلهم ومناقبهم وحملة العلم عنهم ونكلوا بهم أشد التنكيل وساموهم سوء العذاب ، حتى أصبح الرجوع إلى أهل البيت(عليهم السلام) ونقل الحديث عنهم ، وحتى إعانة الذرية الطاهرة النبوية ، من أعظم الجرائم السياسية .

وقد بقيت شرذمة ضئيلة من أبنآء هؤلاء الذين يقولون بشرعية حكومات الطواغيت الذين علوا وطغوا واستكبروا في الأرض ، امثال معاوية ويزيد والوليد وهارون والمتوكل وغيرهم ، وكان استكبارهم اكثر من استكبار طواغيت الجاهلية في روم وايران .

(٣/١)

وهؤلآء لايزالون يصدون المسلمين عن التجاوب والتفاهم ويلبون دعوة الإستعمار لاثارة الضغائن وانكار الحقائق ، ينظرون دائماً إلى الخلف ، ولاينظرون إلى الأمام . لايقبلون من التاريخ والحديث إلا ما يؤيد آرائهم ، ويجرحون كأسلافهم كل من يروي ما لايوافق أهوائهم ويطعنون في كل حديث يخالف مذهبهم وإن بلغ في الصحة ما بلغ أو يؤولونه . قد أعمت العصبية أبصارهم وبصائرهم . السنة عندهم بدعة ، والبدعة عندهم سنة . يقتفون آثار السفيانيين ، ويدافعون عن سيرة الجبابرة ، ويعملون على كتمان فضائل بطل الإسلام ، ونفس الرسول وابن عمه وأخيه ، وباب مدينة علمه ، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعده ، ومن لايحبه إلا مؤمن ولايبغضه إلا منافق ، امير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) . ينكرون مناقبه ومناقب أهل بيته ويرمون من روى فضائله بالكذب ووضع الحديث ، ويعدّون ولاء أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)جريمةً لاتغتفر ، ولكن لو كانت هذه المناقب مرويةً في شأن أعداء آل النبي (صلى الله عليه وآله)لايقابلونها بالانكار ، وسيما إذا كان رجالها مطعونين بالنصب وقتل المسلمين وأقبح الظلم وأشنع الفسق . فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون .

(٤/١)

قرأنا في بعض المجلات (حضارة الإسلام ، العدد الخامس من السنة الثامنة عشرة برجب ١٣٩٧) نقداً من الكاتب محمد حسين ، على كتاب للجنرال ا . اكرم ، ترجمة الركن صبحي الجابي ، فيه موارد هامّة من الاشتباه ، وقلب الحقائق ، من أعظمها الاستناد إلى المنقولات الضعيفة والحكايات

الواهية في شأن بدء الوحي وكيفية نزوله ، مما لايناسب شأن الرسالة المحمدية ، فيتهم الرسول(صلى الله عليه وآله) بخشيته على نفسه عندما نزل عليه الوحي وجاءه الملك الامين جبرئيل(عليه السلام) يرى كأنه . والعياذ باللّه . لم يحصل له اليقين بما جعل اللّه على عاتقه ، وشرفه به من النبوة والرسالة ، فانطلقت به السيدة خديجة أتت به ورقة بن نوفل .

وهذه ، وإن كانت رواية البخاري ومسلم في بدء الوحي وكيفية نزوله ، إلا انها مردودة عليهما وعلى شيوخهما ، لأن شأن الرسول(صلى الله عليه وآله) في المعرفة والادراك كان أنبل وأجل من الشك فيما أوحى اللّه تعالى به ، وأمر الرسالة أيضاً أعلى وأنزه من ذلك . وكيف لايعرف الرسول(صلى الله عليه وآله) ما تعرفه وتؤمن به السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها وقد كان تحت رعاية اللّه تعالى قبل البعثة ، وخلق اللّه نوره قبل أن يخلق العالم ، مضافاً إلى انه يجب أن يكون إلقآء الوحي والتعيين لهذا المنصب العظيم ، سيما الرسالة المحمدية العظمى ، على نحو يحصل للمبعوث بها بنفسها اليقين والايمان على انه بعث إلهي ووحي سماوي . وبالجملة شأن الرسالة وشأن الرسول بريء من خشيته(صلى الله عليه وآله) على نفسه .

(٥/١)

أللهم إلا أن يكون المراد خشيته من اللّه تعالى لعظم ما أمره به وجعله على عاتقه ، ولاريب أنه(صلى الله عليه وآله) كان أخشى الناس وأخوفهم من اللّه تعالى ، وكان أعبدهم وأزهدهم ، وأعرفهم باللّه . ولاريب أن من كان أعرف الناس باللّه ، يكون أخوفهم منه وأرجى به منهم ، اما الشك والخشية على نفسه فلم يعرضه حتى لحظة واحدة وهذا امر يعرفه من سبر تاريخ حياته واخلاقه الكريمة ، وقد قال اللّه تعالى (آمَنَ الرسولُ بِما أُنزِلَ إليه من رَبّه) فهو مِن أول مانزل به الوحي ، آمن بما انزل إليه وخرج من حرا وقلبه مليء بالايمان بما نزل به .

نقده الآخر

ثم إنه أنكر على المؤلف ما ذكر من أن النبي(صلى الله عليه وآله) قد بقي مدة ثلاث سنوات يتلقى تعليمات ربه ، دون أن يتكلم شيئاً عن رسالته ، ويوهم القاريء بأن علياً وخديجة وأبا بكر أسلموا في زمن واحدة ، ولم يكن بين إسلام خديجة والامام واسلام أبي بكر فترة حتى يسيرة ، مع أنه يظهر لمن يمعن النظر في الأحاديث الصحيحة والتاريخ ، أن أبا بكر لم يسلم إلا بعد فترة طويلة لايستبعد تقديرها بثلاث سنين . ولايأبى العقل أن يكون النبي(صلى الله عليه وآله) مدة ثلاث سنوات أو أكثر يتلقى تعليمات ربه ، ولم يكن مأموراً باظهارها وتبليغها بغير خديجة وعلي من أهل بيته . فكانوا يعبدون اللّه بما تعبده اللّه به سراً ، حتى اذا أمر اللّه النبي(صلى الله عليه وآله) باظهار الدعوة ، بلغ عدد المؤمنين في ثلاث سنوات إلى الأربعين أو أكثر على اختلاف الروايات في ذلك .

ويؤيد ، بل ينص على ما قلناه الروايات الكثيرة التي دلّت على أن علياً(عليه السلام)عبد الله تعالى مع رسوله(صلى الله عليه وآله) سبع أو تسع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة ، وأن الملائكة صلت على رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) وعلى علي(عليه السلام) سبع سنين ، لأنه لم يصل معه أحد غيره([١]) .

([١]) يراجع في ذلك كنز العمال جـ ١٣ ، حـ ٣٦٣٨٩ و ٣٦٣٩٠ و ٣٦٣٩١ ، والخصائص العلوية للنسائي صـ ٣ ، وتاريخ الابن عساكر ترجمة الإمام(عليه السلام) حـ ٧١ و ٨٠ و ٨١ و ٩١ و ٩٩ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ ، وفرائد السمطين جـ ١ ، حـ ١٩١ و ١٩٢ و ١٨٧ و ١٨٨ ، وتهذيب التهذيب جـ ٧ صـ ٣٣٦ ، و أسد الغابة جـ ٤ صـ١٨ ، والرياض النضرة جـ ٢ صـ٢١٧ ، وذخائر العقبى صـ٦٤ ، وغيرها .